تعليقات فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

على كتاب

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

للإمام ابن القيم رحمه الله

الشريط السابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

قال المؤلف رحمه الله تعالى.

المتن: الباب الرابع: فى أن حياة القلب وإشراقه مادة كل خير فيه وموته وظلمته مادة كل شر وفتنة فيه.

الشيخ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

القلب ينقسم إلى قسمين:

- حي مشرق.
- وميت مظلم.

الحي المشرق: هو قلب المؤمن، قال تعالى ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] كان ميتا، كان على الكفر، ثم هداه الله، فآمن فحيا قلبه بالإيمان واستنار بنور الوحي، وصار يمشي في الناس على نور الوحي.

وأما قلب الكافر فهو ميت، وما دام أنه لم يؤمن فإنما هو في ظلمة الكفر لايخرج من هذه الظلمة إلا بالإيمان، وليس بظلمة واحدة بل ظلمات بعضها فوق بعض، ليس بخارج منها، مادام أنه لم يؤمن فليس بخارج من الظلمات، وهذا كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧] فإذا مات القلب وأظلم فإنه في الشرور وفي الظلمات، وأما إذا حيا وأشرق فإنه يكون على خير في حياته ومسيره إلى الله على برهان وعلى حق، ويكون مطمئنا بالإيمان، أما قلب الكافر فهو قلب مظلم، مضطرب، لا يكاد يهتدي إلى حق، فهو من ظلمة إلى ظلمة.

المتن: أصل كل خير وسعادة للعبد، بل لكل حى ناطق كمال حياته ونوره.

الشيخ: كل حي ناطق، لأن الأحياء على قسمين:

- حي ناطق وهو الإنسان.
- وحي غير ناطق وهو الحيوان وسائر الأحياء التي لاتنطق.

الإنسان يسمى حيوانا، الحيوان هذا يشترك فيه الإنسان والدواب وكل شيء حيوان؛ لكن الإنسان يكون ناطق ويكون غير ناطق، أو يكون أعجما.

المتن: أصل كل خير وسعادة للعبد بل لكل حى ناطق كمال حياته ونوره، فالحياة والنور مادة الخير كله، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

الشيخ: ﴿كَمَن مَّثَلُهُ﴾: أي صفته، أنه ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ إلا بالإيمان، مادام ليس عنده إيمان فليس بخارج من الظلمات، مهما كان ولو كان مثقفا ومتعلما ومخترعا وعنده الشهادات العليا، وعنده الإدراكات الدنيوية، فهو في ظلمات، الكفار كلهم في ظلمات، من كتابيين وغير كتابيين في ظلمات، وأما أهل الإيمان فإنهم في نور وحياة.

المتن: قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ فجمع بين الأصلين: الحياة، والنور.

الشيخ: الحياة والنور، هذا قلب المؤمن يجمع بين صفتين، أنه حي وأنه مستنير بنور الإيمان، والآن دعاة الضلال يسمون الكفر والخروج من الإسلام يسمونه فكر مستنير، فلان مستنير، متنور، هذا عكس الحق، هذا ما هو بمستنير، هذا مظلم،مهما سموه فهو مظلم، مادام إنه ما هو على إيمان بالله عز وجل، فهو مظلم مهما بلغ من الثقافات، ومهما بلغ من المعلومات فإنه مظلم.

المتن: فجمع بين الأصلين: الحياة، والنور فبالحياة تكون قوته، وسمعه وبصره، وحياؤه وعفته، وشجاعته وصبره، وسائر أخلاقه الفاضلة.

الشيخ: القلب الحي يسمع ويبصر ويعقل ويفكر ويهتدي، هذا نتيجة لحياته.

المتن: فبالحياة تكون قوته، وسمعه وبصره، وحياؤه وعفته.

الشيخ: القلب يبصر كما قال تعالى ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦] فالعمى على قسمين:

- عمى القلب
- عمى البصر

عمى البصر لايضر، إنما الذي يضر عمى القلب، وكم من أعمى بصر ولكنه من أولياء الله ومن العلماء الراسخين، إبن عباس في آخر حياته صار أعمى، ابن عمر صار أعمى في آخر حياته، إبن أم مكتوم طول حياته وهو أعمى؛ لكنه مبصر القلب ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ هي تعمى من حيث الرؤية للأشياء؛ ولكنها لا تعمى من حيث البصيرة.

المتن: فبالحياة تكون قوته، وسمعه وبصره، وحياؤه وعفته وشجاعته وصبره، وسائر أخلاقه الفاضلة ومحبته للحسن، وبغضه للقبيح.

الشيخ: يميز بين الحسن والقبيح لأنه حي فيه حياة، أما الأعمى فلا يميز بين الحسن والقبيح، بل ربما يظن الحسن هو القبيح والقبيح هو الحسن، منتكس.

المتن: ومحبته للحسن، وبغضه للقبيح فكلما قويت حياته قويت فيه هذه الصفات.

الشيخ: كلما قويت حياة القلب قويت فيه هذه الصفات العظيمة، وكلما ضَعُفت ضعفت هذه الصفات، وإذا فُقدت الحياة فقدت هذه الصفات.

المتن: فكلما قويت حياته قويت فيه هذه الصفات وإذا ضعفت حياته ضعفت فيه هذه الصفات، وحياؤه من القبائح هو بحسب حياته فى نفسه.

الشيخ: الحياء من الإيمان، كما قال ﷺ: «الحياءُ شعبةٌ منَ الإيمانِ» وهو الذي يكف صاحبه عما لا يليق، الحياء الذي هو شعبة من الإيمان هو الذي يكف صاحبه عن القبائح والرذائل، يستحي، هذا هو الحياء المحمود.

المتن: وحياؤه من القبائح هو بحسب حياته في نفسه، فالقلب الصحيح الحي إذا عرضت عليه القبائح نفر منها بطبعه وأبغضها.

الشيخ: واستحيا من أن يتصف بها أو أن يخالط من يتصف بها، ينفر منها، يستحي أمام الله وأمام الخلق من هذه الأشياء، وفي الحديث «إذا لَمْ تَسْتَحْيِ فاصنَعْ ما شِئْتَ» فالحياء هو الذي يكف الإنسان عن الرذائل، ويحسه على الفضائل، ولهذا صار شعبة من الإيمان.

المتن: فالقلب الصحيح الحي إذا عرضت عليه القبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: "هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر".

الشيخ: هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف ويعرف به المنكر، فالذي لا يميز بين المعروف والمنكر هذا هالك ميت.

المتن: وكذلك القلب المريض بالشهوة، فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك.

الشيخ: وهذا القلب الميت، هناك قلب مريض كما سبق بحسب ما يغلب عليه، إن غلب عليه الخير صار حيا، وإن غلب عليه الشر صار ميتا، على حسب ما يغلب عليه من الخير والشر.

المتن: وكذلك القلب المريض بالشهوة، فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه.

الشيخ: إذا عرضت له شهوة فرج أو شهوة بطن محرمة فإنه إن كان غلب عليه الإيمان والحياة فإنه يترك هذه الأمور، وإن غلب عليه العكس، غلب عليه المرض وقلة الحياء فإنه يقع في الشهوات المحرمة.

المتن: وكذلك إذا قوى نوره وإشراقه انكشفت له صور المعلومات وحقائقها على ما هي عليه، فاستبان حُسْنَ الحسن بنوره، وآثره بحياته، وكذلك قبح القبيح.

الشيخ: كما أنه ينفر من القبيح بحياته، فإنه أيضا يكون عنده نور يميز به أيضا بين الحسن والقبيح، الطيب والخبيث، يكون عنده نور يميز به، الإنسان اللي ما عنده نور ما يشوف اللي أمامه، يقع في الحفر، يقع في الآبار، يقع في المهالك، ما يشوف، ما معه نور، وليس المراد النور الحسي؛ إنما المراد النور المعنوي، نور اللإيمان، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [النور: ٣٥] هذا مثل قلب المؤمن، شبهه الله بهذه المشكاة فهو يدرك بنور قلبه ما أمامه من الأخطار فيتجنبها.

المتن: وكذلك إذا قوى نوره وإشراقه انكشفت له صور المعلومات وحقائقها على ماهي عليه.

الشيخ: إي نعم لأن النور يكشفها ويبينها مثل اللي معه مصباح، معه كهرب يشوف الحفر اللي أمامه يشوف المخاطر.

المتن: فاستبان حُسْنَ الحسن بنوره، وآثره بحياته، وكذلك قبح القبيح.

الشيخ: نعم يعرف قُبح القبيح، يعرفه بحياته ونوره.

المتن: وقد ذكر سبحانه وتعالى هذين الأصلين فى مواضع من كتابه فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

الشيخ: فوصف الله سبحانه وتعالى القرآن بوصفين:

- روح
- ونور

هو روح: يعني فيه حية القلب، وهو نور يعني فيه إدراك القلب الحسن والقبيح، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا﴾ للقلب ﴿مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ من وحينا، ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ قبل البعثة، ما كان الرسول ﷺ يعرف تفاصيل الإيمان وتفصيل الحلال والحرام، وهو عنده الفطرة السليمة وعنده التوجه الطيب، ويتعبد لله عز وجل، وينفر من آلهة المشركين؛ لكن التفاصيل ما نزلت عليه، ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى: ٧]، ﴿كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

المتن: فجمع بين الروح الذى يحصل به الحياة، والنور الذى يحصل به الإضاءة والإشراق، وأخبر أن كتابه الذى أنزله على رسوله ﷺ متضمن للأمرين، فهو روح تحيا به القلوب، ونور تستضىء وتشرق به، كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ

﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

[الأنعام: ١٢٢]، أى أومن كان كافرا ميت القلب، مغموراً فى ظلمة الجهل: فهديناه لرشده، ووفقناه للإيمان، وجعلنا قلبه حيا بعد موته، مشرقا مستنيراً بعد ظلمته؟ فجعل الكافر لانصرافه عن طاعته، وجهله بمعرفته، وتوحيده وشرائع دينه، وتركه الأخذ بنصيبه من رضاه، والعمل بما يؤديه إلى نجاته وسعادته: بمنزلة الميت الذى لا ينفع نفسه بنافعة، ولا يدفع عنها من مكروه.

الشيخ: فالكفر موت، هو موت معنوي للقلب، وفقد الحياة موت حسي للبدن، فالموت موتان:

- موت حيواني وهو موت البدن.
- وموت معنوي وهو موت القلب.

قد يكون الإنسان حيا حياة حيوانية وقوي؛ لكن قلبه في صدره ميت، فهو قلب الكافر، كافر متعافي متنعم وعنده أبهه؛ لكن قلبه ميت ليس عنده نور.

المتن: بمنزلة الميت الذى لا ينفع نفسه بنافعة، ولا يدفع عنها من مكروه فهديناه للإسلام وأنعشناه به، فصار يعرف مضار نفسه ومنافعها، ويعمل فى خلاصها من سخط الله تعالى وعقابه، فأبصر الحق بعد عماه عنه، وعرفه بعد جهله به، واتبعه بعد إعراضه عنه، وحصل له نور وضياء يستضىء به، فيمشى بنوره بين الناس، وهم فى سدف الظلام.

الشيخ: نعم ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ يمشي بين الناس على نور فيما يأتي وفيما يذر على نور؛ أما الكافر فهو يمشي في ظلمات، لا يُفرق بين الطيب والخبيث، ولا بين الحسن والقبيح، ولا بين الكفر والإيمان لأن قلبه ميت، المدار على القلب إذا كان حيا أو كان ميتا.

المتن: وحصل له نور وضياء يستضىء به، فيمشى بنوره بين الناس، وهم فى سدف الظلام.

كما قيل:

لَيْلِي بِوَجْهِكَ مُشْرِقٌ ... وَظَلامُهُ فى النَّاسِ سَارِى

النَّاسُ فى سُدُفِ الظّلام.... وَنَحْنُ فِى ضَوْءِ النّهَارِ

الشيخ: هذا كلام المؤمن الناس في الظلمة وهو في النور في ضوء النهار، وهؤلاء في ظلمة الليل ما راحت عنهم.

المتن: ولهذا يضرب الله سبحانه وتعالى المثلين المائي والناري لوحيه ولعباده.

الشيخ: نعم يضرب الله المثلين في سورة البقرة وسورة الرعد، المائي والناري، ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ هذا الناري ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة:١٧] هذا المنافق ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ هذا المثل المائي ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة: ١٩] فهذا مثل مائي ومثل ناري للمنافق.

المتن: ولهذا يضرب الله سبحانه وتعالى المثلين المائي والناري لوحيه ولعباده أما الأول فكما قال في سورة الرعد ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾

[الرعد: ١٧]

الشيخ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾ هذا المثل المائي، شبه الوحي بالماء الذي ينزل من السماء، تتلقفه الأودية، والأودية تختلف منها أودية كبار، تاخذ من السيل ماء كثيرا، ومنها أودية صغيرة تأخذ بقدرها جداول ولا شعاب تأخذ بقدرها، الناس كذلك، منهم من عنده قلب كبير يستوعب علما غزيرا وفقها كثيرا، ومنهم من يستوعب ماءً قليل، يصير عنده علم لكن قليل، حسب ما يؤتيه الله سبحانه وتعالى من الفهم والمعرفة لكتابه، الناس يختلفون مع القرآن، وليسوا في العلم على حد سواء، مثل الأودية ليست على حد سواء.

المتن: أما الأول فكما قال في سورة الرعد

الشيخ: أما الأول وهو المائي.

المتن: فكما قال في سورة الرعد ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾

الشيخ: هذا المثل الناري ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾ الذهب إذا أرادوا أن يختبروه، ويذهب ما عليه من الغش والصدا فإنه يُعرض على النار، فالنار تجلوه وتُذهب ما عليه من الغش ومن الصدا، ويصبح ذهبا خالصا، كذلك الوحي يعمل في القلوب هكذا، فإذا جاءها فإنه يجلوها ويذهب ما فيها من الشكوك والريب، وتصبح قلوب خالصة نقية.

والمائي كما أن النار تجلو الصدأ وتجلو الغش من الذهب كذلك الماء يأتي على الأرض وعليها غثاء وعليها أوساخ وعليها مخلفات، فيأتي الوادي فيحمل هذه الأشياء ويُنظف الأرض من الأوساخ التي كانت تغطيها، فتصبح الأرض طاهرة نقية بالسيل الذي مر عليها، فكذلك الوحي إذا مر على القلوب، وآمنت به، أزال ما عليها من الشكوك والريب والأوهام إلى غير ذلك.

المتن: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۖ﴾

الشيخ: ﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۖ﴾ من أين يأتي هذا الزبد؟ هذا يأخذه من الأرض، يشيل ما على الأرض من الأوساخ.

المتن: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾

الشيخ: ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ للنساء إذا أرادوا أن يختبروا الذهب هل هو مغشوش أو لا؟ عرضوه على النار فبينت ما فيه من غش

المتن: ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾

الشيخ: يكون على الذهب زبد مثل الزبد الذي يكون على الماء سواء.

المتن: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَ﴾

الشيخ: الباطل: هو الزبد الذي يقتلعه الوحي، والحق: هو الذهب الخالص الذي يخلص، والتربة الخالصة التي تطهر بنور الوحي، فكما أن الماء يطهر الأرض فإن الوحي يطهر القلوب كما يطهرها الماء، وكما تطهر النار الذهب والحديد الذي يُعرض عليها، تصقلها تماما.

المتن: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَ﴾

الشيخ: هذا فن من فنون القرآن الأمثال، فأمثال القرآن أُلفت فيها مؤلفات، وهذا من علوم القرآن، من علوم القرآن ما ضرب الله فيه من الأمثال ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [العنكبوت: ٤٣] وفيه كتب ألفت في أمثال القرآن وشرحها، ولابن القيم - المصنف هذا الذي معنا- له كلام طويل على أمثال القرآن في إعلام الموقعين، كلام طويل على الأمثال بعضهم أفرده من الإعلام وجعله كتابا مستقلا، كلام عجيب في أمثال القرآن وما تحتها من الحكم ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ﴾ من الناس ﴿إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ أما غير العالمين فإنهم لا يدركون ما فيها، يقرأونها فقط.

المتن: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ﴾

الشيخ: ﴿ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ﴾ يطير ويتلاشي، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من هذا السيل ﴿فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ، تمتلئ الآبار وتسيل الينابيع والأنهار من هذا الماء.

المتن: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾

الشيخ: ﴿يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ للبيان، لبيان الحق والباطل وبيان ما في القرآن والوحي من بيان الحق وبيان الباطل.

المتن: فضرب لوحيه المثل بالماء، لما يحصل به من الحياة، وبالنار لما يحصل بها من الإضاءة والإشراق.

الشيخ: إي نعم وتطهير الأشاء التي تُعرض عليها وتُمتحن بها.

المتن: وأخبر سبحانه أن الأودية تسيل بقدرها، فواد كبير يسع ماء كثيراً.

الشيخ: هذا مثل قلب العالم المتبحر، هذا وادٍ كبير، مثل قلب المؤلف رحمه الله هذا وادي كبير، وقلب شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية هذا وادي كبير، هذا مَثل لقلب العالم المتبحر المتفقه في دين الله، كل الناس سمعوا القرآن لكن يختلفون، أحدٍ ما يدرك شيء، أحدٍ يدرك شوي شوي، أحدٍ يدرك مياه ومخازن ومخابي وينابيع وأنهار، تفجر منه الأنهار، أنهار العلوم وأنهار الإدراك.

المتن: وأخبر سبحانه أن الأودية تسيل بقدرها، فواد كبير يسع ماء كثيراً، وواد صغير يسع ماء قليلا؛ كذلك القلوب مشبهة بالأودية، فقلب كبير يسع علما كثيراً.

الشيخ: علما كثيرا غزيرا مثل الراسخين في العلم، قلوب الراسخين في العلم.

المتن: وقلب صغير إنما يسع بقدره.

الشيخ: يعني شوي ويقف بعده ويبس.

المتن: وشبه ما تحمله القلوب من الشبهات والشهوات، بسبب مخالطة الوحى لها، وإمارته لما فيها من ذلك، بما يحتمله السيل من الزبد. وشبه بطلان تلك الشبهات باستقرار العلم النافع فيها، بذهاب ذلك الزبد، وإلقاء الوادى له.

الشيخ: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ كذلك العلم يمكث في القلوب.

المتن: بذهاب ذلك الزبد، وإلقاء الوادى له وإنما يستقر فيه الماء الذى به النفع. وكذلك فى المثل الذى بعده: يذهب الخبث الذى فى ذلك الجوهر، ويستقر صفوه..

الشيخ: نعم الذهب يصير عليه غش يصير عليه صدا يصير عليه تراب، فإذا عُرض على النار انصقل وصار ذهبا خالصا، كذلك الوحي على القلوب يصفيها ويطهرها حتى تصبح خالصة، ذهبت منها الشبهات والشكوك والأوهام.

المتن: وأما ضرب هذين المثلين للعباد، فكما قال فى سورة البقرة.

الشيخ: نعم هذا الموضع الثاني لهذين المثلين المائي والناري.

المتن: فكما قال في سورة البقرة.﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾

الشيخ: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي المنافقين ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، فالمنافقون دخلوا في الإيمان تقليدا للمؤمنين، ﴿ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ هو مافي قلبه إيمان أصلي؛ لكنه حاكى وشابه المؤمنين، فالإيمان اللي معه ما هو بأصلي إنما هو مستعار، لأنه يريد فقط أن يعيش معهم، ويمشي معهم، ويندرج فيهم، هذا قصده، ولهذا في القبر يقول: ها ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.

المتن: فكما قال في سورة البقرة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة: ١٧]

الشيخ: ما رأيكم في إنسان في ظلمات الليل وعنده نار يستدفي بها ويستضيء بها ثم انطفأت، مثل المنافق ينطفيهذا الإيمان المستعار ويروح عند أدنى عارض، ويبقى في ظلمات، لأنه ما دخل في قلبه، لا استنار به بصيرته؛ إنما هو مستعار لمصلحة دنيوية، فهذا يذهب ما يستقر في القلب.

المتن: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾

الشيخ: هذا المثل الناري

المتن: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ١٨]

الشيخ: هذا المنافق.

المتن: فهذا المثل الناري ثم قال:﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾

الشيخ: الصيب المطر يعني.

المتن:﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: ١٩] فهذا المثل المائي

وقد ذكرنا الكلام على أسرار هذين المثلين وبعض ما تضمناه من الحكم في كتاب المعالم وغيره.

الشيخ: اللي هو إعلام الموقعين.

المتن: والمقصود: أن صلاح القلب وسعادته وفلاحه موقوف على هذين الأصلين.

الشيخ: الحياة والنور، حياة القلب ونوره

المتن: والمقصود: أن صلاح القلب وسعادته وفلاحه موقوف على هذين الأصلين قال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: ٧٠] فأخبر أن الانتفاع بالقرآن والإنذار به إنما يحصل لمن هو حى القلب.

الشيخ: لمن كان حيا يعني حي القلب ما هو بحي البدن، ما شاء الله بدنه متعافى وقوي؛ لكن ما ينتفع بالقرآن، إنما ينتفع بالقرآن من كان قلبه حيا ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠] يعني حي القلب.

المتن: فأخبر أن الانتفاع بالقرآن والإنذار به إنما يحصل لمن هو حي القلب كما قال فى موضع آخر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]

الشيخ: هل أحدٍ ماله قلب حيواني؟ كل الناس لهم قوب حيوانية جسمية؛ لكن الكلام على من له قلب له بصيره وله ومعرفه هذا هو القلب الصحيح، ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر القلب وحاضر الذهن، ما هو بغافل، ﴿أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أيضا يستمع ما هو بسامع، فرق بين السامع والمستمع.

السامع : هذا يجيه الصوت يسمعه، الحيوانات تسمع أيضا؛ لكن هو ألقى السمع: يعني يستمع للقرآن، ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وليس المراد بهذا التلذذ بالصوت أو بالترتيل، ماشاء الله فلان هذا صوته زين، هذا ما يكفي، لابد من فهم القرآن والعمل به، والخشوع عند تلاوته وتأثر القلب به.

المتن: وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

الشيخ: الآية أصلها في الجهاد، إذا دعاكم للجهاد؛ لأن الجهاد في سبيل الله حياة، وترك الجهاد موت؛ ولكن الآية عامة، ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ فالقرآن يحيي حياة عامة، يحيي القلب، يحيي العلم والبصيرة، يحيي الذاكرة إلى غير ذلك.

المتن: وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ فأخبر سبحانه وتعالى أن حياتنا إنما هى بما يدعونا إليه الله والرسول من العلم والإيمان. فعلم أن موت القلب وهلاكه بفقد ذلك وشبه سبحانه من لا يستجيب لرسوله بأصحاب القبور. وهذا من أحسن التشبيه، فإن أبدانهم قبور لقلوبهم.

الشيخ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٢٢﴾ [فاطر: ٢٢] يعني قلوبهم ميته بأجسامهم، وأجسامهم قبور لقلوبهم، ما تنفع.

المتن: وشبه سبحانه من لا يستجيب لرسوله بأصحاب القبور، وهذا من أحسن التشبيه، فإن أبدانهم قبور لقلوبهم.

الشيخ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٢٢﴾ [فاطر: ٢٢] يعني اللي ما يلتفتون للقرآن والإيمان هؤلاء أموات، قلوبهم ميته؛ وإن كانت أبدانهم حية قوية.

المتن: فقد ماتت قلوبهم وقبرت فى أبدانهم، فقال الله تعالى:﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٢٢﴾ [فاطر: ٢٢] ولقد أحسن القائل:

وَفِى الجهلِ قَبْلَ الموْتِ مَوْتٌ لأَهْلِه ... وَأَجْسَامُهُمْ، قَبْلَ القُبُورِ، قُبُورُ

وَأَرْوَاحُهُمْ فى وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِهم ... وَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ.

الشيخ: هذا يوم البعث ميتين إلى يوم القيامة، حتى يبعثهم الله في يوم القيامة؛ أما في الدنيا فلا تنبعث قلوبهم، تحيا بعد موتها.

المتن: ولهذا جعل سبحانه وحيه الذى يلقيه إلى الأنبياء روحا، كما قال تعالى:﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥].

الشيخ: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ يعني الوحي، ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ يعني من شرعه ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام

المتن: ولهذا جعل سبحانه وحيه الذى يلقيه إلى الأنبياء روحا، كما قال تعالى:﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فى موضعين من كتابه.

الشيخ: نعم في سورة النحل وفي سورة الزخرف.

المتن: وقال ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] ؛ لأن حياة الأرواح والقلوب به، وهذه الحياة الطيبة هى التى خص بها سبحانه من قَبِلَ وحيه، وعمل به فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

الشيخ: هذه السعاده، الناس يبحثون عن السعادة فأين توجد السعادة؟

- توجد بالمال؟ لا.
- توجد بالملزات والشهوات؟ لا
- توجد بطول العمر؟ لا
- توجد بصحة البدن؟ لا
- أين توجد إذن؟

إنما توجد بالأعمال الصالحة ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ يعني في الدنيا ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ هذه الحياة الطيبة، وهي حياة العلم والعمل، العلم النافع، والعمل الصالح، هذه الحياة، نعم، والعمل لا يكون صالحا إلا بشرطين:

- الشرط الأول أن يكون خالصا من الشرك
- الشرط الثاني وأن يكون صوابا على سنة رسول الله ﷺ خاليا من البدع.

فلابد من هذين الشرطين، يكون العمل صالحا مقبولا عند الله.

المتن: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

الشيخ: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بعض الناس يعمل وما هو بمؤمن، المنافقين يصلون ويحجون ويعتمرون لكن ما عندهم إيمان، فلابد مع العمل من الإيمان.

المتن: فخصهم سبحانه وتعالى بالحياة الطيبة في الدارين، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣]

الشيخ: هذا في سورة هود ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾ هذه النتيجة مثل ﴿مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ متاع حسن أو حياة طيبة المعنى واحد.

المتن: ومثله قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [النحل: ٤١ – ٤٢]

الشيخ: الهجرة، أيضا من الحياة السعيدة الهجرة، بعد الجهاد الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، فرارا بالإيمان، وليس طلبا السُكنى الزينة، أو الدنيا، أو التجارة، لا؛ فرارا بالدين، ولو ما أمامه إلا الفقر والحاجة؛ لكن يفر بدينه من بلاد مزدهرة لكنها كافرة، متوفر فيها كل شيء لكنها كافرة، فيهاجر بدينه إلى أرض قد تكون أقل حياة وأقل رزق؛ لكن يريد اللجوء بدينه، ما يبحث عن الدنيا، يبحث عن سلامة دينه، هذا اللي يبحث عنه.

المتن: ومثله قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الشيخ: ظلمهم المشركون وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم، ما معهم شيء، جاءوا إلى المدينة فيها إخوانهم الأنصار، واسوهم واستقبلوهم وأكرموهم رضي الله عنهم، لكن ما معهم شيء، الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾[الحشر: ٨] ثم أثنى على الأنصار فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[الحشر: ٩] ثم ذكر التابعين ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الحشر: ١٠].

أما الذي يُبغض الصحابة ويلعنهم ويسبهم ويشتمهم فهذا في قلبه غل عليهم والعياذ بالله، التابعون الحقيقون يقولون: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾

المتن: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾

الشيخ: عوضهم الله بلادا خيرا من بلادهم وأعطاهم الأموال.

المتن: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ﴾

الشيخ: واللي أعطاهم الله في الآخرة أكبر مما أعطاهم الله في الدنيا وهو الجنة.

المتن: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الشيخ: هذه النتيجة ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ يصبرون على ماذا؟ ما يصبرون إلا على شيء شاق، ترك البلاد وترك الأموال والأولاد والغربة،صبروا على ذلك،.

المتن: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الشيخ: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يتوكلون على أن الله سيعوضهم خيرا مما تركوه وفقدوه، وكان كما ظنوا بالله عزوجل، عوضهم الله خيرا مما تركوه في مكة، وكذلك غيرهم من المهاجرين في كل

مكان وزمان إذا صدقوا وصارت هجرتهم هجرة صحيحة، فإن الله يعوضهم خيرا مما تركوه؛ لكن بعد الصبر على المشقة وشظف العيش.

المتن: ومثله قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ۝٣٠﴾ [النحل: ٣٠]

الشيخ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ هذه في سورة النحل أيضا ﴿فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ أن الله يحسن إليهم في الدنيا ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ۝٣٠﴾، فجزاء الإحسان إحسان ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ هم أحسنوا ﴿حَسَنَةٌ﴾ من الله عز وجل يحسن إليهم.

المتن: فبين سبحانه أنه يسعد المحسن بإحسانه فى الدنيا وفى الآخرة، كما أخبر أنه يشقى المسىء بإساءته فى الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾ [طه: ١٢٤].

الشيخ: نعم، في الدنيا في عيشة ضنك حتى ولو كان عنده أموال، ما الكلام على الأموال والثروة؟ الكلام على راحة القلب، بعض الناس يصير عنده أرصده وأموال طائلة؛ لكن قلبه والعياذ بالله في ضغط وضيق وفي هم وغم وحَزن، ولا ينبسط، الراحة راحة القلب ماهي راحة البدن.

المتن: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾ [طه: ١٢٤].

الشيخ: جزاء له كما عمي عن القرآن في الدنيا يُعمي الله بصره في الدار الآخرة، ونحشرهم يم القيامة عميا وصما وب ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ۝٩٧﴾ [الإسراء: ٩٧]

المتن: وقال تعالى، وقد جمع بين النوعين فقال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾ [الأنعام: ١٢٥]

الشيخ: سبق ذكر هذه الآية والكلام عليها، والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.